فرانسوا ماري آروويه فولتير: (1694–1778)

أ_ حياته:

فولتير هو الكاتب والفيلسوف الفرنسي الشهير فرانسوا ماري آروويه، وُلِد عام 1694 وتوفي عام 1778، وقد عرف في عصر التنوير بنقده الساخر ودفاعه عن الحريات المدنية مثل حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان. قضى حياته في كتابة أعمال غزيرة الإنتاج شملت الشعر والمسرحيات والروايات والمقالات والتاريخ، وانتقد فيها المؤسسات الاجتماعية والدينية في عصره، مما أدى إلى تعرضه للسجن والنفي، ولد في باريس عام 1694 لوالد محامٍ ووالدة من طبقة النبلاء.

تلقى تعليمه في مدرسة لويس الكبير الثانوية وتعلّم عدة لغات أوروبية بالإضافة إلى اللاتينية واليونانية، عارض رغبة والده في أن يصبح محاميا وكرس نفسه للكتابة، وبدأ باستخدام اسم "فولتير" المستعار حوالي عام 1718 نشر أعمالا ساخرة وفلسفية جذبت شعبية كبيرة، لكنها أثارت غضب الرقابة، كان كاتبا غزير الإنتاج، حيث كتب أكثر من 20 ألف خطاب وألفي كتاب دافع بقوة عن حرية التعبير وحرية الدين وفصل الكنيسة عن الدولة استخدم السخرية لانتقاد دوغمات الكنيسة الكاثوليكية والمؤسسات الفرنسية .

كان له تأثير كبير على مفكرين آخرين، وشكل جزءا من حركة عصر التنوير إلى جانب شخصيات مثل مونتيسكيو وجان جاك روسو تعرض للسجن والنفي بسبب آرائه المثيرة للجدل ألزم بالعيش في المنفى في إنجلترا، والتي أعجب فيها بالنظام البرلماني مقارنة بالملكية المطلقة في فرنسا في سنواته الأخيرة، تبرع ببناء كنيسة، لكنه طرد الكهنة الذين زاروه عند وفاته .

أثرت أفكاره بشكل كبير على الثورتين الأمريكية والفرنسية دفن جثمانه في مقبرة البانثيون في باريس تكريما له بعد وفاته في 30 مايو 1778.

ب_ مؤلفاته:

من أهم أعمال فولتير: "رسائل فلسفية" و "كانديد" و "زاديغ" و "المعجم الفلسفي" و "عصر لويس الرابع عشر". هذه الأعمال تشمل مجموعة متنوعة من الكتابات مثل الروايات الفلسفية الساخرة، والرسائل، والدراسات التاريخية، والمسرحيات، حيث دافع فولتير في كتاباته عن التسامح الديني وحرية الفكر .

رسائل فلسفية (1734): مقارنة بين المجتمع الإنجليزي والفرنسي أثارت غضب السلطات .

زاديغ أو صادق (1747): رواية فلسفية قصيرة تعرف أيضا بترجمة طه حسين باسم "القدر ."

كانديد (أو الساذج) (1759): رواية ساخرة تنتقد فلسفة التفاؤل .

المعجم الفلسفي (1764): عمل شامل يضم مقالات حول مواضيع متنوعة .

عصر لويس الرابع عشر: دراسة تاريخية شهيرة .

مسرحيات: كتب فولتير ما يقرب من 60 مسرحية، منها المسرحية المأساوية «زائير» (1732) ومسرحية «ماهوميت» (1736).

1_ اتجاهه الفكري:

نهل من اتجاه العقلانية: آمن فولتير بأن العقل هو الوسيلة لتحقيق التقدم الاجتماعي، ورفض السلطات الدينية والسياسية التي تحصّن نفسها ضد النقد .

_ التسامح الديني: حارب التعصب الديني واعتبره ضد "قانون الطبيعة". رأى أن المجتمعات تزدهر في ظل السلام والهدوء الذي يوفره التسامح، ويمكن للأقليات المساهمة في الخير العام .

_ حرية التعبير: كان من أكبر المدافعين عن حرية الرأي، وعبّر عن استعداده للدفاع عن حق الآخرين في التعبير عن آرائهم حتى لو اختلفت معه، حتى لو كلّف ذلك حياته .

_ فصل الكنيسة عن الدولة: بعد تجربته في إنجلترا، آمن بوجوب فصل الدين عن السياسة، ودافع عن حرية العقيدة .

_ المبدأ الإلهي (التأليه): على الرغم من نقده للدين المنظم، آمن بخالق عقلاني أوجد الكون بقوانين ثابتة، وأسماه "المهندس الأكبر"

_ النقد الاجتماعي: انتقد امتيازات وسلطة الكنيسة، وكان ساخراً في أعماله الأدبية لفضح الأخطاء في المجتمعات، مما جعله رمزاً لعصر التنوير.

2_ فلسفته:

يعتبر العقل من الأمور التي منحها فولتير أولوية في فلسفته؛ فقد آمن بالعقل، وكفاءته، وآمن أنه الوسيلة لتحقيق التقدم والارتقاء على الصعيد الاجتماعي، وأضاف أنه لا يجب أن تمتلك أي شكل من أشكال

السلطات، بما في ذلك السلطات السياسية والدينية، حصانة تحميها من التحدي، أو الاعتراض، الذي قد يفرضه العقل ضدها.

وفي معرض حديثه عن التسامح، أشار فولتير إلى أن التسامح يوفر بيئة خصبة تزهر فيها المجتمعات، وذلك من خلال ما يرافق التسامح من سلام وهدوء، وأضاف أنّ الأقليات الدينية في المجتمعات يمكن أن تساهم بما فيه خير وصالح عام لها، وفي أطروحته التي تحمل عنوان أطروحة حول التسامح) بالإنجليزية : ينتقد فولتير أنّ التعصب الديني، ويعتبره مخالفًا لقانون الطبيعة.

أما بالنسبة لقضية التعبير عن الرأي، وحرية القيام بذلك، فالفيلسوف فولتير يعد من أكبر المدافعين عن هذه الحرية، وله رأي بخصوصها يتميز ويتفوق على بقية الآراء؛ إذ يقول إنه حتى وإن لم يتفق رأيه مع رأي شخصٍ آخر، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك سيدافع عن حق هذا الشخص في التعبير عن رأيه كما يشاء، وإن كلفه هذا حياته.

فضلا عن ذلك، يعتبر فولتير أنّ الحياة تكون ذات معنى، عندما تبني أساساتها، وتقوم على التسامح، والرحمة، واستخدام العقل، ويعتبر أيضًا أنّ على البشر التفكير لأنفسهم، وبما فيه صالحٌ لهم، وأنّ عليهم أيضًا أخذ الدروس والعبر، والتعلم من الأخطاء التي يرتكبونها، بالإضافة إلى أنّ عليهم تبني الاحترام في معاملاتهم مع الآخرين.

في كتابه الشهير "**كانديد أو التفاؤل**"، يمكن ملاحظة تصور فولتير بخصوص المجتمع المثالي، والذي يكون، بناءً على وجهة نظره، مُرحبًا بالغرباء، ويتم فيه معاملة الناس بكرامة، بالإضافة إلى أنّ التعليم في المجتمع المثالي عند فولتير ذو أهمية كبيرة، ويحظى العلم بمكانة رفيعة أيضا، في حين أنّ الذهب في هذا المجتمع لا يحظى بقيمة، ولا تعار له أهمية.

دعم فولتير النظام الملكي الدستوري، ويفسر دعمه هذا في أنّ هذا الشكل من نظام الحكم يحمي حقوق الناس، بالإضافة إلى أنه يعتمد على مشورة ونصيحة الفلاسفة، وغيرهم من المفكرين، من أصحاب العقول المستنيرة، وفي سياقٍ متصل، يرى فولتير أنّ الملك المستنير، أي المُثقف، هو وحده من يقدر على إحداث تغيير في المجتمع، وأنّ من مصلحة مثل هذا الملك أن يهتم برعاياه، من خلال الحرص على تعليمهم، وتوفير حياةٍ ذات جودة لهم.

أما فيما يخص مسألة التعليم، ففولتير اعتبر أنّ التعليم ليس باستطاعته إعداد الطفل لمواجهة العالم، إعدادا كاملا، ولكنه رغم ذلك، اعتقد أنّ جميع الأطفال يجب أن يتعلموا، كما أشار إلى أنّ التعليم هو الطريقة الوحيدة لأجل التوصل إلى الحقيقة.

فيما يتعلق بالقضاء والعدالة، دعا فولتير إلى أنّ أسس اختيار القضاة يجب أن تكون قائمة على النزاهة، والجدارة، ولا يجب اختيارهم بناء على خلفياتهم الاجتماعية، فضلا عن ذلك، انتقد فولتير عقوبة الإعدام، وانتقد أيضا التعذيب، ونادى بأن تتناسب العقوبة مع الجريمة التي تستحق على إثرها.

وفي معرض حديث فولتير عن المال، فهو يدعو إلى عدم الاعتقاد بأنّ المال قادر على تحقيق كل شيء للإنسان، لأن الإنسان حينها سيبدأ بالقيام بأي شيء في سبيل الحصول على المال.

في ختام الحديث عن فلسفة فولتير، يمكن القول إنّ فكره يمثل أحد أبرز مظاهر **روح التنوير الأوروبي** التي سعت إلى تحرير الإنسان من الجهل والاستبداد باسم العقل والحرية. فقد كان فولتير فيلسوفًا ناقدًا بامتياز، وجّه سهام فكره ضد التعصب الديني والظلم السياسي، ودافع عن **حرية الفكر والضمير والتسامح** باعتبارها شروطًا أساسية لتقدم المجتمعات. ورغم طابعه الأدبي الساخر، فإنّ مشروعه الفلسفي كان عميقًا في جوهره، لأنه دعا إلى **عقلانية معتدلة** تراعي حدود الإنسان وتحتكم إلى التجربة والعقل النقدي وهكذا، فإنّ إرث فولتير لا يقتصر على نصوصه الفلسفية أو الأدبية، بل يمتد ليشكّل **أساسا فكريا للحداثة الأوروبية** وللقيم الإنسانية التي لا تزال اليوم تمثل جوهر الفكر الحر والتقدمي.